

مستقبل النيل المصرى

بقلم د . حامد طاهر

أولاً : لماذا النيل المصرى ؟ لأنه السبب المباشر ، وربما الوحيد، الذى هبأ لشعب مصر الاستقرار فى هذه المنطقة من العالم ، حيث استطاع أن يقيم أول حكومة منظمة عرفها التاريخ ، وبناء حضارة مزدهرة   ما زالت آثارها الرائعة قائمة رغم مرور آلاف السنين. أما

الأمر الثانى فهو أن مجرى النيل داخل الأراضى المصرية يعتبر أطول من مجراه فى أى دولة افريقية تشاركه فيه . وثالثا أن عدد السكان المصريين الذين يشربون من النيل ، ويعيشون عليه يتجاوز عدد السكان فى أى دولة افريقية يمر بها نهر النيل . وليس معنى هذا كله أن تستأثر مصر بمياه النيل ، وتحرم منه أحدا ، بل أنها قد توافقت منذ زمن طويل على توزيع الحصص ، حتى يستفيد من النيل كل من يعيش على ضفافه .

لكن هذا النيل ، الذى وصفته الأمانى المصرية بالنهر الخالد ، قد أصبح يتعرض حاليا لبعض المخاطر التى تتطلب وعيا مصرى ، وحكمة افريقية تضبطان الأمور ، وتحدان من المخاطر ، التى يأتى فى مقدمتها : مطالبة عدد من الدول الافريقية التى يجرى النهر فى أراضيها بإعادة توزيع هذه الحصص ، وبالتالى تطالب بتخفيض حصة مصر منها ، والتى تبلغ (55) مليار متر كعب فى العام ، وهذه الكمية - مع تزايد سكان مصر - قد أصبحت تكفى بالكاد لاحتياجاتها الضرورية من الرى ومياه الشرب . أما الخطر الثانى فيأتى من انفصال جنوب السودان ، وهذا معناه أن ينفرد هذا الجزء بحصة خاصة به ، سوف تؤثر بالتأكيد على حصة كل من مصر والسودان (الشمالى) . ويكمن الخطر الثالث فى سعى بعض الدول ذات التوجه الاستعمارى ، بالإضافة طبعا إلى اسرائيل ، إلى مساعدة دول حوض النيل فى بناء المزيد من السدود على النيل الافريقى ، وهو الأمر الذى سوف ينعكس بالسلب على حصة دولة المصب الكبرى ، وهى مصر !

ولست أدري من منكم يتذكر معنى أننا كنا نعلن بكل حسم ووضوح أن مسألة التلويح بمياه النيل تعتبر خطأ أحمر لن تقبل مصر تجاوزه ، بل إنها يمكن أن تحارب من أجله ، لأنه هو شريان الحياة الرئيسى لها . لكننا عدنا وتقبلنا الأمر الواقع ، وحاولنا إقامة حوار متكافئ مع الدول الافريقية المتدمرة فلم نوفق فى ذلك ، حتى أنها أسرعت بعقد اتفاقية فيما بينها دون أن تشارك فيها كل من مصر والسودان (قبل أن يصبح بلدين) .!

والسؤال الآن : ماذا نفعل أمام تلك المخاطر ، خاصة وأن نسبة الزيادة السكانية عندنا فى ارتفاع رهيب : من أين سيشترب كل هؤلاء ؟ وكيف يزرعون نباتهم ، أو حتى يغسلون أو انيهم و ثيابهم ؟

وإجابتي البسيطة والمتواضعة أننا منذ هذه اللحظة علينا أن نوجه جزءا من اهتمامنا لتحلية مياه البحر ، وفى نفس الوقت ، نعتبر النقطة الواحدة من ماء النيل ثروة لا تقدر بمال ، فلا ينبغى هدرها ، ولما رش الشوارع أمام المقاهى ☐ ☐ ☐ بها .. أما الرى الزراعى فلا بد أن يتوقف الأسلوب العتيق فى غمر الحقول بالماء ، وأن يحل محله الرى بالرش أو التنقيط ، مع التخلّى نهائيا عن المحاصيل التى تتطلب المزيد من المياه ، وأخيراً لابد من خطة علمية وعملية لعدم تسرب نقطة واحدة من ماء النيل فى البحر المتوسط ، فاهل مصر أولى بها .. أما الذين يستخدمون حمامات السباحة فى فللهم فأقول لهم : راهوا الله والوطن فى هذا الماء ، ويكفى أن تستحموا بالددش ، فهو أظهر لكم!